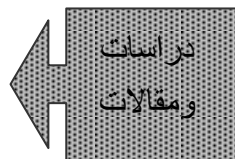


أ. د. ابراهیم علی مصطفی

رئیس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بجامعة أم درمان الإسلامية

## الدعوة إلى الله على بصيرة



المقدمة:

الحمد لله خالق الإنسان ومعلمه البيان  
والصلاة والسلام على رسول الله (ص) الذي أرسله  
إلى الإنسان الذي لم يخلقه الله عبثاً إنما  
خلقه ليكون خليفة الله في الأرض ليعمرها قال  
تعالى: ﴿وَأَلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ  
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ  
الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا  
إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (1). ولتحقيق هذا  
الاستخلاف لابد من منهج والمنهج لابد أن يصل  
عن طريق الدعوة والدعوة لا بد أن تكون على  
بصيرة قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَىٰ  
اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا

أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢﴾. إِذَا لَا بَدَّ مِنْ مَعْرِفَةٍ  
وَلَا بَدَّ مِنْ دَرَايَةِ بَوَاقِعِ النَّاسِ وَبَوَاقِعِ الْبَيْئَةِ  
وَبَوَاقِعِ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ وَبَوَاقِعِ الرِّجَالِ  
وَالنِّسَاءِ وَبَوَاقِعِ الْوَضْعِ السِّيَاسِيِّ وَالِاِقْتِصَادِيِّ  
وَالاجْتِمَاعِيِّ نَعَمْ عَلَى بَصِيرَةٍ أَيْ أَنْ أُضْعَ حَكْمَ اللَّهِ  
تَعَالَى فِي كُلِّ شَيْءٍ إِنْطِلَاقًا مِنَ النَّظَرَةِ الْفَاحِصَةِ  
وَالْتَدَبْرِ الْعَمِيقِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِحَاطَةِ  
الْتَامَةِ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ تَعَالَى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ  
لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ  
وَاحِدٌ وَلِيَذْكَرَ الْوَالِدُونَ الْأَلْبَابَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ  
رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ  
الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ  
وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ  
السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ  
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٤).

وكذلك النظره بالعقلية المنفتحة في  
السنة وفهمها ومعرفة بلاغة الحديث وقوته  
وضعه كما تعرف في القرآن الكريم الناسخ  
والمذسوخ والمحكم والمتشابه ثم السيرة  
النبوية واجتهادات العلماء. وبعد ذلك أن  
يأخذ الداعية من هذا المنهج ثم يعطيه إلى  
المتلقّي ليكون هو على بصيرة والمدعو على

بصيرة .

وبناءً على ما تقدم سوف أو اصل في بحثي  
هذا إنشاء الله تعالى، والذي يكون من المنهج  
الاستنباطي والاستقرائي إنشاء الله تعالى وهو  
بحث أقدمه ليكون عوناً للدعاة وطلاب العلم،  
وكذلك ليقدّموا الذبح من خلاله وليصوبوا  
الأخطاء التي وقعت في هذا البحث.

### المبحث الأول: المفهوم العام للدعوة

#### المطلب الأول: تعريف الدعوة من حيث اللغة والاصطلاح:

وأبدأ كلامي في مستهل هذا البحث بتعريف  
الدعوة من حيث اللغة ومن حيث الاصطلاح.  
فنقول: الدعوة في اللغة هي الطلب، يقال  
دعا بالشيء طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء  
حثه على قصده، يقال دعاه إلى القتال،  
ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين، وإلى  
المذهب حثه على اعتقاده وساقه إليه (5).  
والناظر كذلك إلى معجم اللغة العربية  
يجد أن كلمة دعوة تأتي بمعنى الدعاء وهو  
العبادة أو النداء، وكذا الدعوة إلى الشيء  
مثل الدعوة إلى الطعام. والدعوة تأتي  
بمعنى القول. كما قال عنتر بن شداد  
العبيسي:

" يدعون عنتر والرماح كأنها: أشطان بئر في لسان الأدهم " والدعوة تأتي بمعنى السؤال، كقوله تعالى على لسان بني إسرائيل عندما أمرهم الله أن يذبحوا بقرة ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ (6).

ومن معاني الدعوة الأذان وهو النداء لدخول وقت الصلاة و من معانيها الدعائية بمعناها الحسن وليس المعنى القبيح المتداول للدعاية ففي كتابه (ص) لهرقل (أدعوك بدعاية الإسلام) (7). ويعني أدعوك بدعوة الإسلام، وهي كلمة الشهادة للدخول في الإسلام (8).

ومن خلال ما تقدم نجد هنالك الكثير من التعريفات اللغوية ويمكننا الرجوع إليها في كتاب معجم اللغة وكتاب " لسان اللسان " لابن منظور .

أما الدعوة في الاصطلاح: ( هي حركة علمية عملية لنشر الإسلام وتعليمه للناس وتعريفهم به على وجهه الصحيح، وفق منهج علمي مدروس بوسائل وأساليب راقية ومجددة، بواسطة دعاة مسلمين يقومون به في الناس على هدي

وبصيرة) (9)، وعندما ننظر لهذا التعريف نجد " أن الدعوة حركة " ونجد أن الإسلام يقوم على العمل الذي من لوازمه الحركة.

فالدعوة لا تقوم بدونها بل إن الحركة قوام هذا الدين، ومن ثم لا يفقهه إلا الذين يتحركون به ويجاهدون لتقريره في واقع الناس بالحركة العملية والتجارب تجزم بأن الذين لا يندمجون في الحركة بهذا الدين لا يفقهونه مهما تعمقوا لدراسته في الكتب، إنما تتجلى للمتحركين به حركة جهادية في أنفسهم وأهلهم وقومهم وفي الخارج لتحريره في حياة الناس ولا تتجلى للقاعدين و المخلفين الناظرين المتشدين به كلاماً أجوف لا يتجاوز حناجرهم وحركة شفاههم واضطراب أسنتهم المختلجة (10).

أما الشيخ محمد أبو الفتوح البيانوني حيث قال: " فهناك من نظر إلى الدعوة على أنها تبديخ وبيان لما جاء به الإسلام فحسب، وهنالك من نظر إليها على أنها علم وتعليم، وجردها من الجانب التطبيقي والتنفيذي، وهناك من عرفها تعريفاً عاماً يمزج بين مفهوم الدين ومفهوم الدعوة إليه، كما فعل الأستاذ الشيخ محمد الراوي في كتابه "

الدعوة الإسلامية دعوة عالمية " فقال: " هي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني وتقرير الحقوق والواجبات".

وهناك من قصد التعريف على بعض جوانبها كما فعل الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه " الدعوة إلى الإصلاح " فعرفها بأنها " حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل"، أما أحمد غلوش في كتابه " الدعوة الإسلامية " فقال عنها: " العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام مما حوى عقيدة وشريعة وأخلاقاً".

أما الشيخ محمد الغزالي فقال في كتابه " مع الله " فقال هي "برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من حياتهم وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين"، أما الشيخ آدم عبد الله الألوري حيث قال في كتابه " تاريخ الدعوة بين الأمس واليوم"، فقال عنها: " صرف أنظار الناس وعقولهم إلى عقيدة تفيدهم، أو مصلحة تنفعهم، وهي أيضاً ندبة لإنقاذ الناس من ضلال

كادوا يقعون فيها أو من معصية كادت تحرق بهم " (11) .

وبعد هذا التعريف لاشك هنالك بعض من كتب في الدعوة حديثاً وأختار التعريف المناسب للدعوة من مراجعها المختلفة ومواصلة في البحث أرى أنه لا بد من معرفة فضل الدعوة على الناس ومعرفة حكم الدعوة، وهذا ما نجده في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى.

### المبحث الثاني: حكم الدعوة وفضلها

#### المطلب الأول: رأي العلماء في حكم الدعوة:

اتفق العلماء على وجوب الدعوة، واختلفوا في نوعية الوجوب، هل هو على التعيين أم على الكفاية؟ وتوسع كل طرف في الاستدلال على قوله بالنصوص الشرعية والأدلة العقلية، مما قد يشعر المطلع على هذا الخلاف والاستدلال بالبعد بين القولين، والأثر الكبير لهما في جانب العمل. والذي رأيتُه بعد متابعة القولين وأدلتهما أن الخلاف بينهما أشبه بالخلاف النظري وتضييق المسافة بينهما في الجانب العملي.

وقبل أن أقرر هذه النتيجة، لا بد من إلمامة مجملة بأصل الخلاف في المسألة مع

الاستدلال عليها: فأقول: استدل العلماء القائلون بالوجوب العيني بأدلة منها:

1. بأن لفظه "من" في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (12).

هي للبيان والتبيين، وليست للتبعيض وذلك بقرينة الأدلة الأخرى التالية، فتفيد هذه الآية عندهم توجيه الخطاب بالدعوة إلى جميع المكلفين، فتكون الدعوة واجبة على كل فرد مسلم بقدر استطاعته.

2. بعموم قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (13).

فجعلت الآية الدعوة سمة عامة من سمات الأمة المسلمة فتكون واجبة عليها جميعاً.

3. وبقوله (ص) "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" وأن "من" من ألفاظ العموم فيعم الحكم.

4. وبعموم قوله (ص) "ليبلغ الشاهد



الغائب" فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه .

واستدل العلماء القائلون بالوجوب الكفائي بأدلة منها:

1. بأن لفظة "من" في قوله تعالى: ( ولتكن منكم أمة... الخ) الآية هي للتبعيض وذلك بقريضة الأدلة التالية.

2. وبقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (14).

3. ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمل يحتاج إلى عمل وبصيرة بالشروط والأحوال، وهذا لا يتوفر في جميع المسلمين، فيكون الواجب على من توفر فيه الشروط فإذا قام بواجب الدعوة من توفرت فيهم الشروط سقط الإثم عن الباقيين.

وقد اختلف العلماء أيضاً من ترجيح أحد القولين على الآخر، فمنهم من رجح القول الأول، ومنهم من رجح القول الثاني، ولا أرى حاجة لمدخول في هذه الترجمات ما دام الخلاف في نظري خفيفاً ليس له من أثر عملي

كبير وذلك لما يلي:

1. لاتفاق الطرفين على أصل الوجوب.
  2. ولأن الذين قالوا بالوجوب الكفاية، يتفقون مع الآخرين بأنه إذا لم تحصل الكفاية لم يسقط الحكم عن الباقيين، ويبقى الخطاب متوهجاً إلى الجميع حتى تحقق الكفاية، وإذا لم تحقق الكفاية أثم الجميع.
  3. ولأن الذين قالوا بالوجوب العيني، قيدوا الوجوب بالاستطاعة فمن لم يكن عالماً بحكم المنكر لا يعد مستطيعاً بالإتفاق، وكذلك من كان عاجزاً عن تغيير المنكر سقط عنه الوجوب، فلا يترتب على القول بالوجوب العيني حرج على أحد.
  4. ولأنه لو سقط الوجوب بقيام من تحقق بهم الكفاية بقي حكم الندب، فيندب جميع المسلمين إلى القيام بالدعوة استدلالاً بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمَلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (15).
- وبغير ذلك من نصوص شرعية ترغّب في الدعوة ترتب على فعلها الثواب العظيم (16). ولقد تحدث العلماء في حكم الدعوة بناءً على ما أمر به الله تعالى، حيث قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا

الرَّسُولُ بَدَّخَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ .

ونواصل في سير آراء العلماء لمعرفة رأي آخر في حكم الدعوة "ولقد تعددت آراء الباحثين في حكم الدعوة وكثرت؛ فمنهم من جعلها سنة قائمة وآخر اعتبرها من فروض الكفايات وجزم البعض بوجوبها العيني...". ولعل الجميع مصيب بوجه من الوجه، وذلك على النحو الآتي:

**أولاً: تجب الدعوة وجوباً عينياً في الأحوال التالية:**

**أ/ في حالة الدعوة الفردية:**

وهذا ما نسميه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فالدعوة هنا وجوبها عيني لازم، ذلك لأن أمرها هنا يقوم به الأفراد كل في مجاله وعلى حسب حاله، وكل واحد على ما يراه ويعرفه من المنكرات والمعروف، والذي ربما لا يطلع عليه غيره فيلزمه هو القيام بذلك. ولنا عدة شواهد على وجوب الدعوة العيني على الأفراد نذكر من ذلك أمر الله لنبيه بإبلاغ الدعوة للناس المتمثل فيما أنزله الله عليه مما يهم الناس في إصلاح شأنهم كله: ﴿يَا

أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رَسُولَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿18﴾ .  
 وثمة أدلة عديدة من السنة تشير إلى هذا الوجوب أو الفرض المتعين على كل مسلم في كل حال من أحواله منها: قوله (ص) "بلغوا عني ولو آية فرب مبلغ أوعى من سامع ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه (19) .

### ب/ في حالة الفرقة والطائفة:

وهذا التقسيم لحكم الدعوة يتداخل فيه الوجوب العيني والوجوب الكفائي وهو ما نسميه بالتقسيم الفئوي للدعوة وهو مأخوذ ومستنبط من النصوص القرآنية مثل قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (20) .

وبناءً على ذلك فلو تصورنا أن الأمة الإسلامية كلها أمة واحدة وأمرهم موحد فتجب عليها الدعوة وجوباً عينياً باعتبارها فرقة، فلو بعثت من يقوم بأمر الدعوة مثل أن تنشئ معاهد وكليات دعوية تخرج دعاة متخصصين، أو تقيم مؤسسات تعنى بشؤون الدعوة فإن تلك

المؤسسات تكون هي الطائفة، ويرتفع الوجود العيني عن الأمة التي هي الفرقة وينتقل هذا الفرض العيني إلى "الطائفة" فتكون الدعوة عليها فرض عين وربما تكون الطائفة جماعة من العلماء أو الدعاة أو المؤسسات الدعوية التي تحمل رسالة الإسلام للناس كافة بلاغاً وسراً وتعريفاً لغير المسلم وتعليمياً وتدريباً وتصحيحاً للفهم الخاطئ للمسلم.

وكذلك تتمثل الطائفة في وزارات الأوقاف والمساجد والجامعات الإسلامية والمعاهد والكليات.

### ج/ في حالة الدعوة الجماهيرية:

وهذا النوع تجب عليه الدعوة وجوباً عينياً وهو ما نسميه بالدعوة الجماهيرية وقلنا الجماهيرية لأنها تستخدم ما يخاطب الجماهير العريضة، ويشمل كل وسائل الإعلام الجماهيرية المتمثلة في الصحف والإذاعات والفضائيات وشبكة المعلومات<sup>(21)</sup>.

وبناءً على ما تقدم نرى حكم الدعوة وهو الوجود، والذي يجب على كل مسلم أن يقوم بأمر الله تعالى، والأمر الواجب لا يسقط ولو أسقطه المكلف يكون آثماً إذا تعمد على ذلك. هذا وسوف نواصل في حكم الدعوة، وذلك على

حسب ما جاء في رأي العلماء وفي القرآن الكريم الذي يقول: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (22).

يقول الشوكاني: "في الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوبه ثابت بالكتاب والسنة، وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة وأصل عظيم من أصولها، وركن مشيد من أركانها وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها" (23).

وأورد بن كثير حيث قال: "ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون". قال الضحاك: هم خاصة الصحابة، وخاصة الرواة يعني المجاهدين والعلماء. وقال أبو جعفر الباقر قرأ رسول الله (ص): "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير" ثم قال "الخير إتباع القرآن وسنتي"، رواه ابن مردويه، والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه" (24).

وكذلك يقول الشهيد سيد قطب: "فلا بد من

جماعة تدعو إلى الخير، وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر، لا بد من سلطة في الأرض تدعو إلى الخير وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر. والذي يقرر أنه لا بد من سلطة هو مدلول النص القرآني ذاته. فهناك "دعوة" إلى الخير، ولكن هناك كذلك "أمر" بالمعروف وهناك "نهى" عن المنكر. وإذا أمكن أن يقوم بالدعوة غير ذي سلطان، فإن "الأمر والنهي" لا يقوم بهما إلا ذو سلطان...

هذا هو تصور الإسلام للمسألة.. إنه لا بد من سلطة تأمر وتنهى.. سلطة تقوم على الدعوة إلى الخير والنهي عن الشر.. سلطة تقوم على الخير والنهي عن هاتين الركيزتين مجتمعتين لتحقيق منهج الله في حياة البشر.. وتحقيق هذا المنهج يقتضي "دعوة" إلى الخير يعرف منها الناس حقيقة هذا المنهج. ويقتضي سلطة "تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر" فتطاع.. والله يقول: "ما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله.. فمنهج الله في الأرض ليس مجرد وعظ وإرشاد وبيان. فهذا شطر. أما الشطر الآخر فهو القيام بسلطة الأمر والنهي على تحقيق المعروف ونفي المنكر من الحياة البشرية، وصيانة تقاليد الجماعة الخيرة من أن يعبث

كل ذي هوى و كل ذي شهوة و كل ذي مصلحة ،  
و ضمانة هذه التقاليد الصالحة من أن يقول  
فيها كل أمرئ برأيه و تصور ه ، زاعماً أن هذا  
هو الخير و المعروف و الصواب و الدعوة إلى  
الخير و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ،  
من ثم تكليف ليس بالهين ولا باليسير إذا  
نظرنا إلى طبيعته و إلى اصطدامه بشهوات  
الناس و نزواتهم ، و مصالح بعضهم و منافعهم ،  
و غرور بعضهم و كبريائهم ، و فيهم الجبار  
الغاشم و فيهم الحاكم المتسلط و فيهم الهابط  
الذي يكره الصعود ، و فيهم المسترخي الذي  
يكره الاشتداد ، و فيهم المذحل الذي يكره  
الجد ، و فيهم الظالم الذي يكره العدل ،  
و فيهم المنحرف الذي يكره الاستقامة . . .  
و فيهم و فيهم ممن ينكرون المعروف ،  
و يعرفون المنكر ، ولا تفلح الأمة ، ولا تفلح  
البشرية ، إلا أن يسود الخير ، و أن يكون  
المعروف معروفاً ، و المنكر منكرًا . . و هذا ما  
يقتضي سلطة للخير و للمعروف تأمر و تنهي . .  
و تطاع . . " (25) .

و من خلال كلام الشهيد السيد قطب نجد في  
قوله لا بد من سلطة تأمر و تنهي ، و نجد كذلك  
في قوله يقتضي الأمر سلطة و نأخذ من كلام



الشهيد لا بد من تكامل بين الجهد الرسمي والشعبي وذلك للقيام بأمر الدعوة، ومن خلال ما تقدم نجد أن أمر الدعوة واجب عيني على الجميع.

وذلك كما نجد في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَدَىٰ بَصِيرَةً أَنَا وَمَن اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (26).  
أورد الإمام الشوكاني حيث قال "أي قل يا محمد للمشركين هذه الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها سبيلي: أي طريقتي وسنتي، فاسم الإشارة مبتدأ وخبره سبيلي، وفسر ذلك بقوله "أدعو إلى الله على بصيرة" أي على حجة واضحة، والبصيرة المعرفة التي يتميز بها الحق من الباطل والجملة في محل نصب على الحال "أنا ومن أتبعني" أي ويدعو إليها من اتبعني واهتدى بهديي. قال الفراء: والمعنى ومن اتبعني يدعو إلى الله كما أدعو. وفي هذا دليل على أن كل متبع لرسول الله (ص) أن يقتدي به في الدعاء إلى الله: أي الدعاء إلى الإيمان به وتوحيده والعمل بما شرعه لعباده "وسبحان الله وما أنا من المشركين" أي وقل يا محمد لهم سبحان الله وما أنا من المشركين بالله الذي تتخذون من دونه

أنداداً، قال ابن الأنباري: ويجوز أن يتم الكلام عند قوله: "أدعوا إلى الله" ثم ابتداء فقال: "على بصيرة أنا ومن اتبعني" (27). وبناء على كلام الشوكاني نجد من خلال كلامه وجوب الدعوة وذلك إشارة إلى قوله أن كل متبع لرسول الله (ص) حق عليه أن يقتدي به في الدعاء إلى الله أي الدعاء إلى الإيمان، ومواصلة في قوله تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة).

يقول صاحب الظلال "فنحن على هدى من الله ونور، نعرف طريقنا جيداً، نسير فيها على بصير وإدراك ومعرفة، لا نخبط ولا نتحسس ولا نحدث، فهو اليقين البصير المستنير ننزه الله سبحانه عما لا يليق بألوهيته ونفصل ونعزل ونتميز عن الذين يشركون به.

"وما أنا من المشركين" لا ظاهر الشرك ولا خافيه هذه طريقي فمن شاء فليتابع، ومن لم يشاء فأنا سائر في طريقي المستقيم. وأصحاب الدعوة إلى الله لا بد لهم من هذا التميز، لا بد لهم أن يعلنوا أنهم أمة وحدهم، يفترقون عما لا يعتقد عقيدتهم، ولا يسلك مسلكهم، ولا يدين لقيادتهم، ويتميزون ولا يختلطون، ولا يكفي أن يدعو أصحاب هذا الدين إلى دينهم،

وهم متميّعون في المجتمع الجاهلي. فهذه الدعوة لا تؤدي شيئاً ذا قيمة! إنه لابد لهم منذ اليوم الأول أن يعدلوا أنهم شيء آخر غير الجاهلية، وأن يتميزوا بتجمع خاص آصرته العقيدة المتميزة، وعنوانه القيادة الإسلامية.. لابد أن يميزوا أنفسهم من المجتمع الجاهلي، وأن يميزوا قيادتهم من قياد المجتمع الجاهلي أيضاً! إن إندماجهم وتميّعهم في المجتمع الجاهلي، وبقاءهم في ظل القيادة الجاهلية، يذهب بكل السلطان الذي تحمله عقيدتهم، وبكل الأثر الذي يمكن أن تنشئه دعوتهم، بكل الجاذبية التي يمكن أن تكون للدعوة الجديدة.

وهذه الحقيقة لم يكن مجالها فقط هو الدعوة النبوية في أوساط المشركين.. إن مجالها هو مجال هذه الدعوة كما عادت الجاهلية فقلبت على حياة الناس.. وجاهلية القرن العشرين لا تختلف في مقوماتها الأصلية، وفي ملامحها المميزة عن كل جاهلية أخرى واجهتها الدعوة الإسلامية على مدار التاريخ! والذين يظنون أنهم يصلون إلى شيء عن طريق التميّع في المجتمع الجاهلي والأوضاع الجاهلية.. هؤلاء لا يدركون طبيعة

هذه العقيدة ولا كيف ينبغي أن تطرق القلوب!.. إن أصحاب المذاهب الإلحادية أنفسهم يكشفون عن عنوانهم وواجهتهم ووجهتهم! أفلا يعلن أصحاب الدعوة إلى الإسلام عن عنوانهم الخاص؟ وطريقهم الخاص؟ وسبيلهم التي تختلف عن سبيل الجاهلية؟ (28).

وعندما نذكر إلى كلام صاحب الظلال نجد أهمية الدعوة ووجوبها، وذلك من خلال كلماته التي تقول: "أصحاب الدعوة إلى الله لا بد لهم من هذا التمييز ولا بد أن يعلنوا أنهم أمة، ويفترقون عن لا يعتقد بعقيدتهم.

هذا ونواصل في قوله تعالى: ( قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة ) لنرى مزيداً من الحكم والوجوب على أمر القيام بهذه الدعوة. أورد بن كثير حيث قال: "يقول تعالى لرسوله (ص) إلى الثقلين الإنس والجن، أمراً له أن يخير الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه يدعوا إلى ما دعا إليه رسول الله (ص) على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي" (29).

نعم إنها الدعوة إلى الله، حيث لا بد من الداعي أن يظهر البرهان العقلي والشرعي للمدعويين، حتى تثبت العقيدة، والتي هي موضوع "فطري تميل إليه القلوب وتستحسنه العقول، ولقد تناول القرآن الكريم هذا الموضوع وأفرده بالعرض، فتارة يعرّفه بأنه الحق الذي لا يماري فيه أحد، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (30).

وتارة يعرضها، ويعرض إلى جانبها صورة لآلهة المنتحلة ليظهر الفرق بين الآلهة الحق والآلهة المزورة قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ، يَا صَاحِبِي السَّجْنَ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (31).

ثم إن القرآن الكريم تارة يتدرج بالعقل وينتقل عقل الإنسان من المعقول إلى المحسوس حتى تدعن العقل أو تحجر:

قال تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ، لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (32). وقال

تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (33).

فالقرآن الكريم يقول لهم يستحيل أن يكون مع الله آلهة لأن الشركاء دائماً يختلفون، وأنتم تشاهدون ذلك بأعينكم فكيف بآلهة حول الكعبة و عددها ثلاثمائة وستين صنماً أفلا يختلف هؤلاء؟ وأحياناً الحوار العقلي قد لا يجدي مع كثير من الناس لأنه شيء غير ملموس، ولا محسوس وكثير من الناس لا يصدقون إلا ما يقع تحت حواسهم ولا يؤمنون إلا بالماديات التي تخضع للتجربة، ولهذا نجد أن القرآن الكريم قد طرق هذا الأسلوب المادي ليثبت عقيدة التوحيد ويلزم بالأدلة الحسية قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجَّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (34).

فهذا لا شك أنه مثل ملموس محسوس، إذ لا يذكر أحد فضل المتكلم على الأبكم، و فضل المتصرف على العالة فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لرجلين في الواقع الملموس لديكم فكيف تفضلون على الله آلهة لا تضر ولا تنفع ولا

تبصر ولا تسمع والله هو السميع البصير<sup>(35)</sup>.  
ومن خلال ما تقدم نجد تقديم الدعوة على بصيرة فالقرآن الكريم يأمر المدعو ولكن على بصيرة حيث ضرب الأمثلة، ولفت النظر إلى الواقع المحسوس حتى يكون المدعو على هدي وبصيرة وبالتالي يحصل الإقناع على هدي وبصيرة.

ونلاحظ أن القرآن الكريم ينزل بأساليب مختلفة ومتنوعة وذلك على حسب مقام المدعويين وأحوالهم. وبالتالي جاءت الدعوة بأساليب مختلفة ومتنوعة منها:

1. أسلوب الدعوة التجريدية
2. أسلوب الدعوة التنفيرية
3. أسلوب الدعوة الحسية.

**فالدعوة التجريدية:** تعني بها تلك الدعوة التي تتخذ الأسلوب المجرد الخالي من الشواهد والأمثال الحسية والمجردة عن المتشابهات والأقيسة ويتضمن جملاً ذات دلالات واسعة مع قصر حجم الكلام وسعة الدلالة، حيث يساعد على الاستيعاب والاستنتاج والتقاط المعلومة بسرعة والتعامل القصير المعبر. ويتمثل في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا

أَحَدٌ ﴿36﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (37) . فالدعوة إلى التوحيد لم تتضمن ذماً لأصنام ولا سباً لألهة ولا تقبيحاً لها ولا تشنيعاً بعبادتها، بل ولا تنفيراً صريحاً منها.. وإنما هو تجديد للتوحيد يعرف المدعو الحق بضده أو يتجرد التوحيد وتنزيه الخالق الواحد، فيأخذ المدعو صفات الإله الحق من الدعوة التجريدية السالبة لما سواها، أو كما يقولون بضدها تتميز الأشياء وبالضد تتميز الأشياء، أما أسلوب الدعوة التنفيرية فهو يتناول الجانب الذي ينفّر الناس من الشرك والكفر وكل فعل ذميم، فالداعي هنا يركز على الخصال الذميمة لدى المدعو ويقارنها له بما ينفّر منه .

ولقد جاء في القرآن الكريم الكثير من هذا النوع التنفيرى، قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَأَقْدَرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ ﴾ (38) .

أما الأسلوب في الدعوة الحسية: فهو يتناول الجوانب الحسية المادية من الأدلة



الكونية المبتوثة في الكون وفي السماء والأرض والبحر.

إن الكون كتاب الله المنظور المتحرك نقرأ فيه قدرته وننظر علامات ودلائل وجوده والقرآن كتابه المقروء المتعبد بتلاوته. ولن يكذب أحدهما الآخر ولا يختلفان ولا يتناقضان، كل واحد منهما يوضح ويبين عن وجود الخالق وقدرته وهيمنته.. وميزة هذا النوع من الأدلة الحسية الكونية أن المخالف لا يمكنه إنكارها أو تأويلها أو المراوغة والدوران حولها، كما في الأدلة والحجج النظرية، فهي داحضة ودامغة لا تقبل الجدل أو المراء والارتياب ولهذا فقد أكثر منها القرآن الكريم (39).

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ، فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ، إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ، فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ، إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (40).

نعم: أنه القرآن الكريم يجمع بين الواقع وبين ما يقع في المستقبل ليكون الإنسان المدعو على دراية من أمره وبعد النظر في الواقع والعلم بالمستقبل ويعرف الإنسان

المدعو أصبح حكم الدعوة واجباً على الداعية أن يقوم به وعلى المدعو أن يلتزم به .  
وبناءً على ما تقدم نجد أن الرؤية قد وضحت، وأن العمل بالدعوة إلى الله على بصيرة واجب، وذلك من خلال ما نزل من قرآن وناقش القرآن هذا الإنسان المدعو بالحوار حتى علم وكان على بصيرة من أمره .

هذا وسوف نواصل في حكم الدعوة وذلك من خلال ما جاء في الآيات ورأي العلماء في ذلك من خلال تفسير الآيات. كما نجد في قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (41) .

يقول الشوكاني: "كنتم خير أمة هذا كلام مستأنف يتضمن بيان حال هذه الأمة في الفضل على غيرها من الأمم أي وجدتم وخلقتم خير أمة وقيل كنتم في اللوح المحفوظ؛ وقيل كنتم منذ آمنتم. وفيه دليل على أن هذه الأمة الإسلامية خير الأمم على الإطلاق، وأن هذه الخيرية مشتركة ما بين أول هذه الأمة وآخرها بالنسبة إلى غيرها من الأمم وإن كانت متفاضلة في ذات بينها. قوله "أخرجت للناس" أي أظهرت لهم. وقوله "تأمرون

بالمعروف.. الخ" كلام مستأنف يتضمن بيان كونهم خير أمة مع ما يشتمل عليه من أهم خير أمة ما أقاموا على ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المذكر زال عنهم ذلك، ولهذا قال مجاهد: إنهم خير أمة على الشرائط المذكورة في الآية وهذا يقتضي أن يكون تأمرون وما بعده في محل نصب على الحال أي كنتم خير أمة حال كونكم آمرين ناهين مؤمنين بالله، ولما يجب عليكم الإيمان به من كتابه ورسوله وما شرعه لعباده، فإنه لا يتم الإيمان بالله سبحانه إلا بالإيمان بهذه الأمور<sup>(42)</sup>.

وضح من خلال ما تقدم أن المؤمن الذي فيه خير لا يتم هذا الخير فيه إلا إذا قام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن الواجب على الداعية أن يقوم بأمر الله حتى تحقق هذه الخيرية فيه، وإذا لم يتم انتفتت الخيرية وهذا شرط من الشروط.

ومن ثم نواصل في آيات الدعوة إلى الله تعالى لنرى حكم الدعوة ونرى آراء العلماء من خلال تفسيرها.

فنجد في قوله تعالى: ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ

أَعْلَمَ بِالْمُهْتَدِينَ، وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوِقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ، وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿٤٣﴾ .

وبالنظر إلى هذه الآيات نجد أن فعل الأمر في قوله تعالى: "أدع إلى سبيل ربك" هو أمر للوجوب لأنه أمر من اعلى إلى ادنى ونرى في هذه الآيات تفصيل بعد إجمال، ففي قوله تعالى (سبيل ربك) كل فهو كل ما يرضي الله سبحانه تعالى، وعلى رأس ذلك الدعوة إلى الله تعالى. ولكن الدعوة أصبحت مقيدة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالحسنى، لان الدعوة (دعوة إلى سبيل الله، لا لشخص الداعية ولا لقومه، والدعوة بالحكمة والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي بينه لهم في كل مرة حتى لا ينتقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنوع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة، فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه، وبالموعظة الحسنة التي تدخل القلوب برفق لا بالزجر والتأنيب في غير موجب.

ولا يفضح الأخطاء التي تقع عن جهل أو عن حسن نية، وبالجدل والتي هي أحسن، بلا تحامل على المخالف، ولا ترزيل ولا تقبيح، والنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، والجدل بالحسنى هو الذي يطمئن كبرياءها والله أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) (44).

ومن خلال ما تقدم نجد إن من الواجب أن ينفذ الداعية أمر ربه وفق السلوك التي وضعتها هذه الآلية، ونواصل في هذا البحث، وأرى أن انتقل إلى المطلب الثاني وذلك بعد الجهد القليل الذي بذلته في المطلب الأول.

### المطلب الثاني: فضل الدعوة:

الدعوة الإسلامية تصدر عن الدين الإسلامي، الذي جاء به محمد (ص)، من ربه منهاجاً للبشرية جمعاء تسير عليه في حياتهم وتجسد ثواب ذلك عند الله يوم تلقاه.

وتنبثق أهميتها وفضلها من فضل الإسلام وأهميته؛ ذلك أنها هي التي تدعوه وتعرف به وتعلمه للناس. فالدعوة يبلغ بها الدين، ويرشد بها الضال، ويعلم بها الجاهل، ويذكر بها الناس، وينبذ بها الغافل، ويزاد بها المجد قوة يشد بها من أزره، ويقوي بها الضعيف، ويقام بها الحق والعدل، ويبطل بها

الباطل ويغاث بها المدهوف، وينصف بها المظلوم، ويؤمن بها الخائف، ويسعد بها الشقي، ويحمى بها المجتمع من الغزو الفكري والثقافي والأفكار المنحرفة والعقائد الفاسدة، ويمكن للمسلمين بها في الأرض، وتذقذ بها سفينتهم من الغرق، وتجلب بها المصالح، وتدفع بها المضار، وتزرع بها القيم الحسنة وترسخ بها العادات الطيبة الجميلة ويهذب بها السلوك ويجمع بها شمل الأمة، وتوحد بها صفوفهم. وتعين على التخطيط والتنظيم الاجتماعي، وبها تبذل النصيحة.

فالدعوة الإسلامية مصدرها هذا الدين، عقيدة و شريعة وحاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء فليس الناس قط أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول (ص)، والقيام به والدعوة إليه والصبر عليه، وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة، ولا سبيل للوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسر إن فضل الدعوة إلى الله وأهميتها تبرز في الإصلاح والحماية والنصح والإرشاد والأمر والنهي، والدعوة فيها تدافع مع قوة الخير وقوة الشر والباطل، وفيها

تدافع بين الدعوة وبين الناس عموماً، كما أشار القرآن الكريم لهذا التدافع. في قوله تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (45).

ومن فضل الدعوة وأهميتها، أنها تنتشل الناس من وهدة الطيش والعشوائية والخبط دونما وعي ولا هدى (46).

وهذا هو النبي (ص) يمثل لنا ذلك في هذه الصورة التمثيلية البليغة في قوله: "مثلي ومثلكم كمثلي رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذهب عنهما، وأنا آخذ بمجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي" (47).

"والدعوة إلى الله تبدأ بنشر العلم وتبليغ ما نزل من الحق مما يحصل به تذكير الغافل وتعليم الجاهل وإرشاد الضال" (48) قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (49).

ومن خلال ما تقدم نجد أن الدعوة إلى الله تعالى هي الزاد وهي الغذاء فبدون الدعوة التي تقوم حياة الإنسان والتي هي حياة متصلة بالواقع وواقع الإنسان يحتاج فيه إلى

التنبيه من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية لكي تتحرك القلوب وتحيا لأن الإنسان يحيا بحياة القلب العامر بذكر الله تعالى، وبالتالي يحيا من كان حوله. ومن ثم تكون الحياة كلها لله رب العالمين قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾<sup>(50)</sup>.

وبعد هذا المطلوب والذي أشرت فيه إشارة عابرة إلى فضل الدعوة وأهميتها والكلام عن فضل الدعوة ليس له حدود ولكن سوف نجده من خلال الكلام عن مناهج الدعوة وأساليبها ووسائلها. والكلام عن هذا المبحث هو أن الدعوة لله تعالى لا تخرج عن المنهج والأسلوب والوسيلة هذه العناصر الثلاثة هي ركائز الدعوة الإسلامية الأساسية فكل واحدة منهن مكملة للآخر، فالداعية إذا أصبح يتكلم من غير منهج ولا أسلوب ولا وسيلة فقد أصبح كلامه دون معنى ودون هدي وكتاب منير، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(51)</sup>. وعلى ضوء هذه الآية الكريمة نبدأ الكلام عن المبحث الثالث.

المبحث الثالث: المنهج الدعوي

المطلب الأول: المنهج الدعوي من خلال السيرة النبوية:



## توطئة:

**المنهاج في اللغة** "الطريق الواضح، واستنهج الطريق: صار نهجاً، وفي حديث العباس: لم يمت رسول الله (ص) حتى ترككم على طريقه ناهجة، أي واضحة بيّنة. والمنهاج كالمنهج، وفي التنزيل: ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرَعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَكُن لِيَبْدُلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (52). (53).

وفي هذا المعنى اللغوي استحدثت كلمة "منهاج" بمعنى: "الخطّة المرسومة، منها: منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم ونحوها، والجمع منهاج" (54).

أما المنهج في الاصطلاح بأنه: "النظام والخطّة المرسومة للشيء" (55). ونجد المنهج في الاصطلاح كذلك هو الخطط والنظم الأصيلة والدقيقة والمحكمة التي يرسمها الداعية ليسير عليها معنوية كانت أم حسية. (56)

"ومن الطبيعي أن تكون المناهج والشرائع متعددة، لأنها أحكام وأوامر، ونواهي، وخطط ونظم وطرق من جهة، ولتعلقها بجانب العباد الذين تختلف أحوالهم وأوضاعهم زماناً

ومكاناً من جهة أخرى" (57) .

وبعد هذا التعريف اللغوي والاصطلاحي نواصل في بحثنا من خلال السيرة النبوية: ومع المطلوب الأول: المنهج الدعوي من خلال السيرة النبوية، والسيرة النبوية هي حياة النبي (ص)، والتي تحكي منذ ولادته وحتى مماته ولكن كانت حياة النبي (ص)، كلها عامرة بالدعوة إلى الله تعالى، وذلك من خلال المنهج الرباني الذي أنزله الله تعالى عليه، وبلغ من خلاله الدعوة إلى الناس: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (58) .

وننظر إلى السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم ليكون الكلام عنها من خلال هذا المطلب الدعوي:

حيث: " تلقى النبي (ص) أوامر عديدة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ، وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ، وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ، وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ، فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ (59) .

وأوامر بسيطة في الظاهر، بعيدة المدى والغاية، قوية الأثر والفعل في الحقيقة ونفس الأمر.

1/ فغاية القيام بالإنذار أن لا يترك أحداً

ومن يخالف مرضاة الله في عالم الوجود إلا وينذره بعواقبه الوخيمة حتى تقع رجفة وزلزال في قلبه وروعه.

2/ وغاية تكبير الرب أن لا يترك لأحد كبرياء في الأرض إلا وتكسر شوكتها، وتقلب ظهراً لبطن، حتى لا يبقى في الأرض إلا كبرياء الله تعالى.

3/ وغاية تطهير الثياب هجران الرجز أن يبلغ في تطهير الظاهر والباطن وفي تزكية النفس من جميع الشوائب والألوات إلى أقصى حد وكمال يمكن لنفس بشرية تحت ظلال رحمة الله الوارفة وحفظه وكلئه وهدايته ونوره، حتى يكون أعلى مثل في المجتمع البشري، تجتذب إليه القلوب السليمة، وتحس بهيبته وفخامته القلوب الزائفة، حتى تركز إليه الدنيا بأسرها وفاقاً أو خلافاً.

4/ وغاية عدم الاستكثار بالمنة أن لا يعد فعالاته وجهوده فخدمة عظيمة، بل لا يزال يجتهد في عمل بعد عمل، ويبدل الكثير من الجهد والتضحية والفداء، ثم ينسى كل ذلك، بل يفنى في الشعور بالله بحيث لا يحس ولا يشعر بما بذل وقدم.

وفي الآية الأخيرة إشارة إلى ما سيلقاه من أذى المعاندين من المخالفة والاستهزاء إلى

الجد والاجتهاد في قتله وقتل أصحابه، وإبادة كل من التف حوله من المؤمنين يأمر الله تعالى أن يصبر على كل أذى بقوة وجلادة، لا ينال حظاً من حظوظ نفسه، بل لمجرد مرضاة ربه.

ثم إن مطلع الآيات تضمنت النداء العلوي في صوت الكبير المتعال بانتداب النبي (ص) لهذا الأمر الجلل، وانتزعه من النوم والتدثر والدفء إلى الجهاد والكفاح والمشقة: ( يا أيها المدثر، قم فأنذر) كأنه قيل: إن الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحاً، أما أنت الذي تحمل هذا الكبير فمالك والنوم؟ ومالك والراحة؟ ومالك والفرش الدافئ؟ والعيش الهادئ؟ والمتاح المريح و قم لأمر العظيم الذي ينتظرك، والعبء الثقيل المهيأ لك. قم للجهد والنصب، والكد والتعب. قم فقد مضى وقت النوم والراحة، وما عاد منذ اليوم إلا السهر المتواصل، والجهاد الطويل الشاق. قم فتهيأ لهذا الأمر واستعد. وقام رسول الله (ص) فظل قائماً بعدها أكثر من عشرين سنة لم يسترح ولم يسكن<sup>(60)</sup>.

" وبدأ رسول الله (ص) مع الإنسان يصحح له تصورات، ويوضح له اعتقاده الحق بغرس

العقيدة في النفوس لافتاً الأنظار وموجهاً الأفكار، وموقظاً للعقول، ومنبهاً للفطرة، ومتعهداً هذا الغرس بالتربية والتنمية، حتى يبلغ الغاية من النجاح واستطاع أن ينقل الأمة من الوثنية والشرك إلى عقيدة التوحيد ويملاً قلبها بالإيمان واليقين كما أستطاع أن يجعل من أصحابه قادة في الإصلاح وأئمة في الخير، وأن يكون جيلاً يعتز بالإيمان ويعتصم بالحق، فكان هذا الجيل كالشمس ولدنيا، والعافية للناس، وقد شهد الله لهذا الجيل بالتفوق والامتياز فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (61).

كان هذا هو المنهج الدعوي الذي سار عليه رسول الله (ص) في دعوته حتى آتت أكلها بإذن الله تعالى، ونواصل في الكلام وننظر إلى المنهج الدعوي من خلال السيرة النبوية نجد أن الرسول (ص) عرض الإسلام أولاً على ألق الناس به وآل بيته وأصدقائه، فدعاهم إلى الإسلام، ودعا إليه كل من توسم فيه خيراً ممن يعرفهم ويعرفونه يعرفهم بحب الله الحق والخير، ويعرفونه بتحدي الصدق والصلاح، فأجابه من هؤلاء الذين لم تخالجهم ريبة قط في عظمة الرسول (ص)، وجلالة نفسه وصدق خبره، جمع

عرفوا في التاريخ الإسلامي بالسابقين الأولين، وفي مقدمتهم زوجة النبي (ص)، أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ومولاه زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلابي وابن عمه علي بن أبي طالب (ع) وكان صبياً يعيش في كفالة الرسول (ص) وغيره، أسلم هؤلاء في أول يوم من أيام الدعوة.

وأسلم هؤلاء سراً، وكان الرسول (ص) يجتمع بهم ويرشدهم إلى الدين متخفياً، لأن الدعوة كانت لا تزال فردية وسرية، وكان الوحي قد تتابع وحمى نزوله بعد نزول أوائل المدثر. وكانت الآيات وقطع السور التي تنزل في هذا الزمان آيات قصيرة، ذات فواصل رائعة، وإيقاعات هادئة خلاصة تتناسق مع ذلك الجو الهامس الرقيق، تشتمل على تحسين تزكية النفوس، وتقبيح تلويثها برغائب الدنيا، تصف الجنة والنار كأنهما رأي عين، تسير بالمؤمنين في جو آخر غير الذي فيه المجتمع البشري آنذاك" (62).

من الملاحظ أن رسول الله (ص)، قام بالدعوة على حسب منهج تلك الفترة الذي اختاره الله سبحانه وتعالى، في مكة المكرمة، وجعله يتناسب مع النفوس في تلك الفترة والتي ألفت شيئاً معيناً وعادات وتقاليد باطلة،

ولذلك نزلت آيات القرآن الكريم على رسول الله (ص) بفواصل رائعة وإيقاعات هادئة خلابة. وهذا هو منهج المرحلة الذي عالج القلوب وجذب المدعوين الصدام، ونزل منهج القرآن الكريم ليوضح الحقيقة بعيدة عن الإثارة ووضع المشاكل أمام الداعية رسول الله (ص) ولم يلفت هذا المنهج نظر قريش ولم يثر حفاظهم ولم يعب آلهتهم.

"وليس أدل على ذلك من الآيات القرآنية الكريمة التي تناولت موضوعات بعيدة جداً عن ذكر الوثنية وعيب الجاهلية مع كونها الآيات الأولى التي أوحى بها إلى الرسول (ص)، فالآيات الأولى هي "اقرأ باسم ربك الذي خلق" لم تذكر شيئاً من ذلك، ثم الآيات الأربع الأولى من سورة القلم وهي الآيات التي نزلت بعد "اقرأ" لم تتناول شيئاً منها ثم الآيات الأولى من سورة المزمل وهي التي نزلت بعد سورة القلم، وقد تلتها الآيات الأولى من سورة المدثر، وهي كذلك لم تتعرض للأصنام ولم تذكر الألهة، ثم سورة الضحى التي نزلت بعد فترة الوحي، كل هذه الآيات من القرآن الكريم نزلت لبناء العقيدة السليمة، وتكوين جيل يحمل الدعوة بعزم وإخلاص دون أن تتعرض للألهة، ولا لما كان عليه المجتمع

العربي من أوضاع فاسدة وخلل في التشكيل الاجتماعي والهيكل التنظيمي. والدعوة بذلك قد تجنبت الصدام مع الأعداء، وجذبت رجالها الدخول في مهاترات تقودهم إلى مشكلات جانبية ليس عندهم من الوقت ما يتسع لها، وذلك لأن القيادة كانت مشغولة بما هو أهم، بل هو مهمتها الأساسية. وتلك هي تربية الأعوان وإعدادهم لما ينتظرهم من الأمور العظيمة التي اصطفاهم الله عز وجل للقيام بها.

وقد ركز المنهج على عقيدة التوحيد، والإيمان باليوم الآخر، والجانب الأخلاقي، وناقش هذه الجوانب بموضوعية تامة لا يملك الإنسان السوي حيالها إلا بالإذعان والتسليم، فانظر مثلاً إلى العقيدة كيف ناقشها المنهج. موضوع العقيدة: هو الموضوع الأساسي في هذه الدعوة وهو موضوع فطري تميل إليه القلوب وتستحسنه العقول، ولقد تناول القرآن الكريم هذا الموضوع بالمناقشة مع المخالفين، وعرض عليهم فكرة التوحيد مجردة من الشوائب، وأفرد لها بالعرض تارة منبهاً على أنها الحق الذي لا يماري فيه أحد، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ الإخلاص



كاملة .

وتارة يعرضها، ويعرض إلى جانبها صورة  
للآلهة المنتحلة ليظهر الفرق بين الإله الحق  
والآلهة المزورة (63) يقول سبحانه وتعالى: ﴿  
يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ  
الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (64) .

وهذا الجانب كان في العقيدة، أما الكلام  
عن الإيمان باليوم الآخر فهو من العناصر  
الهامة التي اعتمد عليها المنهج، والحقيقة  
أن إقناع الناس بالإيمان باليوم الآخر يحتاج  
إلى جهد مكثف، وتوعية متواصلة، وتوضيح  
لمعنى العدالة التي تقتضي ألا يتساوى  
المحسن والمسيء، والخبيث والطيب، ذلك لأن  
الإيمان باليوم الآخر إيمان بشيء غيبي، لا  
يأتي إلا عن طريق الوحي الإلهي وليس من شأن  
العقول أن تدرك ذلك بسهولة.

والإيمان باليوم الآخر مهم جداً لتطوير  
الحياة البشرية والسمو بها إلى مرتبة تجعل  
الناس يسارعون في الخيرات، ويتنافسون في  
الإحسان.

ومن أجل تثبيت هذه الحقائق سلك القرآن  
الكريم مسالك شتى، لكي تستقر في قلوبهم .  
فالله سبحانه وتعالى. يخوف الناس من أهوال  
هذا اليوم، ويحذرهم من الإساءة في هذه

الدنيا حتى لا يكون المصير سيئاً (65) .

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، لَكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ، وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ، ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ، وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ، تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ (66) .

أما المنهج الدعوي في الأخلاق فقد وضع له المنهج ميزاناً ووضع له صفاتاً لكي يتمثل بها المدعو والداعية "فمن الصفات الصبر والحلم والصفح واللين والرفق والتوكل على الله. وحسن الصلة بالله، والثقة في نصره، لعباده المؤمنين. ووردت هذه الآيات في ثنايا الآيات المكية كثيراً، ففي سورة المزمل وهي من أوائل السور نزولاً يقول تعالى: "واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرأً جميلاً" وفي سورة المدثر التي تلت سورة المزمل في النزول يقول تعالى: "ولربك فاصبر" وفي سورة الضحى ويأمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بالرفق واللين حتى لا يقهر اليتيم ولا يذهر السائل "فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر".

وفي سورة الهمزة يحذر الوقوع في النميمة، وهي خلق سيئ بقطع أرحام المجتمع "ويل لكل همزة لمزة"

ولم يقتصر هذا الجانب على الوصايا والأمر بها، ولكنه تجاوز ذلك حتى طبقه المسلمون عملياً في حياتهم. وكان بلال (رض) وهو في أشد العذاب لا ينطق إلا بكلمة واحدة "أحد أحد" (67).

هكذا كان المنهج الدعوي من خلال السيرة النبوية فكان رسول الله (ص) نفذ المنهج في بداية الدعوة السرية، ثم استمر العمل به حتى أتاه اليقين ونرى أن المنهج كان ناجحاً وذلك بدليل اقتناع الناس بهذا المنهج منذ الفترة السرية إلى يومنا هذا ولكنه يحتاج إلى الداعية المؤمن بدعوته المخلص لها. ثم إن هذا المنهج الحكيم تدرج بالمدعوين من السرية الدقيقة إلى الجهرية الحكيمة، والتي بدون مواجهة مع الأعداء ثم تقديم الدعوة إلى اقرب المدعو، ثم انتقال الدعوة إلى الكافة، وأول أمر بإظهار الدعوة جاء في قوله تعالى: "وأنذر عشيرتك الأقربين"، والسورة التي وقعت فيها الآية وهي سورة الشعراء ذكرت فيها أولاً قصة موسى عليه السلام من بداية نبوته إلى هجرته مع بني إسرائيل، ونجاتهم من فرعون وقومه، وإغراق آل فرعون معه، وقد اشتملت هذه القصة على جميع المراحل التي مرَّ بها موسى عليه السلام

خلال دعوة فرعون وقومه إلى الله.

أرى أن هذا التفصيل إنما جيء به حين أمر الرسول (ص) بدعوة قومه إلى الله، ليكون أمامه وأمام أصحابه نموذجاً لما سيلقونه من التكذيب والاضطهاد حينما يجهرون بالدعوة، وليكونوا على بصيرة من أمرهم منذ بداية دعوتهم. وفي ناحية أخرى تشتمل هذه السورة على ذكر مآل المكذبين للرسول، من قوم نوح وعاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب الأيكة، علاوة على ما ذكر من أمر فرعون وقومه ليعلم الذين سيقومون بالتكذيب بما يؤول إليه أمرهم، وبما سيلقون من مؤاخذة الله إن استمروا على التكذيب، وليعرف المؤمنون أن حسن العاقبة لهم لا للمكذبين.

وأول ما فعل رسول الله (ص) بعد نزول هذه الآية أنه دعا بني هاشم فحضروا، ومعهم نفر من بني المطلب بن عبد مناف فكانوا خمسة وأربعين رجلاً، فبادره أبو لهب وقال: وهؤلاء هم عمومتك وبنو عمك فتكلم ودع الصباة وأعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة، وأنا أحق من أخذك، فحسبك بنو أبيك، وإن أقيمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش، وتمدهم العرب، فما رأيت أحداً جاء على بني أبيه بشر مما جئت

به، فسكت رسول الله (ص) ولم يتكلم في ذلك المجلس.

ثم دعاهم ثانية: وقال "الحمد لله أحمده، وأستعينه، وأؤمن به، وأتوكل عليه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. ثم قال: الرائد لا يكذب أهله والله الذي لا إله إلا هو، إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبداً أو النار أبداً. فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم غير أني أسرعهم إلى ما تحب، فأمضي لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك، " فقال أبو لهب: هذه والله السوأة، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم، فقال أبو طالب لنمنعه ما بقينا (68).

من الملاحظ بعد رسول الله (ص) قام بأمر الله على منهج الله تعالى. وهو الإنذار لهؤلاء الناس كان لا بد أن تكون هنالك معارضة فهذه المعارضة لم يكن لديها منهج، وبالتالي لم تستطع أن تقدم شيئاً لتقنع. وكذلك خصوم الدعوة اليوم.

وعندما ننظر إلى شرح هذه الآية قوله

تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾<sup>(69)</sup>.

وأخيراً هذه الصيحة العالية هي غاية البلاغ، فقد أوضح الرسول (ص) لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلات بينهم. وأن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار الآتي من عند الله، ولم يزل هذا الصوت يرتج دويه في أرجاء مكة حتى نزل قوله تعالى: ﴿الرَّتْلِكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾<sup>(70)</sup>.

فقام رسول الله (ص) يعكر على خرافات الشرك وترهاته ويذكر حقائق الأصنام وما لها من قيمة في الحقيقة، يضرب بعجزها الأمثال، ويبين بالبيّنات أن من عبدها وجعلها وسيلة بينه وبين الله فهو في ضلال مبين<sup>(71)</sup>.

ولهذه المرحلة منهج "فإن منهج المرحلة الجهرية يعتمد على مخاطبة العقل، ويستثير فيه حب البحث والتحقيق، ويحثه على النظر والتدبر ويطلبه بتسجيل النتائج التي يتوصل إليها، ويفتح أمامه مجالات التأمل والتفكير فيشير له إلى ما في الكون من الآيات الباهرات ثم يردده في لطف إلى ما في نفسه، وحقيقة خلقه، حتى يصل من وراء ذلك كله إلى الحقيقة الكبرى، حقيقة التوحيد، وإفراد الله عز وجل وحده بالعبادة ونبذ كل ما

سواه مما يعبده الناس في كل زمان  
ومكان" (72).

ونجد أن منهج هذه المرحلة اعتمد على  
القرآن الكريم ليحرك العقل، وهذا ما أشارت  
إليه كل السور المكية.

### ونجد أن من أهداف هذه المرحلة:

1. تقديم دعوة الإسلام إلى الناس وتعريفهم  
به.

2. فرض الدعوة نفسها كحقيقة واقعة لا  
تخطئها العين.

3. لا مانع أن تدخل الدعوة في كفاح عدني  
مع الباطل.

4. تعمل الدعوة في هذه المرحلة على رفع  
راية الإسلام (73).

**وبناءً على ما تقدم نجد أن مناهج الدعوة  
هي عدة أقسام:**

1/ من حيث وادعها أو مصدرها وتنقسم  
المناهج الدعوية من هذه الحيثية إلى قسمين  
أساسيين هما:

**أ. المناهج الربانية:** "وهي المناهج التي  
وضعها الشارع لهذه الدعوة عن طريق القرآن  
أو السنة، فهي مناهج معصومة من الخطأ وأصل  
المناهج الدعوية كلها... قال تعالى: ﴿لُكُلِّ  
جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرَعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ (74).

## ب. المناهج البشرية: وهي المناهج

الدعوية التي يضعها الدعاة والعلماء باجتهادهم في أي جانب من جوانب الدعوة تطبيقاً للمناهج الربانية، واعتماداً عليها، وذلك بما يتناسب مع زمانهم، ويتلاءم مع ظروف المدعوين من حولهم. وهي مناهج تحتمل الخطأ والصواب.

2/ من حيث موضوعها: حيث أنها تتنوع من حيث موضوعها إلى أنواع عديدة، تبعاً لنوع الموضوعات التي تتناولها، فهناك مناهج عقدية، وعبادية، واجتماعية، واقتصادية، وعسكرية فإن لكل جانب من هذه الجوانب خططاً ونظماً.

3/ تتنوع المناهج الدعوية من حيث طبيعتها منها العام ومنها الخاص وقد جاءت الشريعة بأثلة كثيرة لهذه المناهج، فقيام الدليل كله أو بعضه وجوباً، منهج عبادي خاص برسول الله (ص).

4/ وتتنوع المناهج وذلك تبعاً لتنوع ركائز الفطرة الإنسانية الثلاث: القلب- العقل- الحس. فما كان من المناهج مرتكزاً على القلب سمي: " المنهج العاطفي".

وما كان منها مرتكزاً على العقل سمي:

" المنهج العقلي".



وما كان منها مرتكزاً على الحس، سمي:  
 "المنهج الحسي" أو التجريبي.  
 ولا يمكن الفصل التام بين هذه المناهج نظراً  
 لتلازم وترابط الركائز الفطرية في النفس  
 البشرية.

ولهذا المنهج الدعوي أهداف ويمكن تقسيمه  
 إلى نوعين أساسيين:

1. أهداف خاصة وجزئية.

2. أهداف عامة وكلية.

فالأهداف الخاصة والجزئية مثل الغاية  
 التي شرعت من أجلها العبادات، كالصلاة  
 والصيام والزكاة، والحج، قال تعالى: ﴿ ائْتِ  
 مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ  
 الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ  
 أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (75).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ  
 عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ  
 لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (76). وقال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ  
 أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ  
 عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (77).

وقال تعالى: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ  
 وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا  
 رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا  
 الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ (78).

## أما الأهداف العامة الكلية:

ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾<sup>(79)</sup>.

وهذه الأهداف العامة الكلية تتنوع إلى نوعين:

1. أهداف مجملة.

2. أهداف مفصلة.

فالأهداف المجملة: مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

## ومن الأهداف المفصلة:

1/ إحقاق الحق وإبطال الباطل، قال تعالى: ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾<sup>(80)</sup>.

2/ إنقاذ الناس من الضلال إلى الهدى قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(81)</sup>.

3/ بناء الشخصية المسلمة والمجتمع المسلم قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(82)</sup>.

فهذه أهداف عامة مفصلة للمنهج الدعوي

والالتزام بالأهداف تتضمن الآتي:

1. السلامة من الانحراف عن طريق الدعوة .
2. الوضوح في أسلوب العمل.
3. الاستمرارية في الدعوة .

و من هنا جاء تعلق الناس برسول الله (ص) بتحقيق صفتين هما :

1. الوضوح في الهدف والغاية لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

2. عدم الغفلة عنه وذكر الله كثيراً. (83)

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (84).

وبناءً على ما تقدم نجد أن القرآن الكريم قد نزل بهذه الكيفية ورسول الله (ص) قام بتنفيذ هذه الكيفية وذلك على حسب ما يتناسب مع واقع الزمان والمكان، وبالتالي أصبح المنهج الدعوي النبوي هو منهج الزمان والمكان وكان به الخلاص.

### الخاتمة

أتمنى التوفيق في هذا البحث، ومن خلاله توصلت إلى التوصيات والنتائج الآتية :

1. الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة لابد من المعرفة الشاملة والكاملة بها.
2. القرآن الكريم هو المضمون الذي يجعل

الداعية على بصيرة .

3. البحث المتواصل للداعية في السيرة النبوية في مراحل الدعوة الأولى هو الذي يجعل المدعوين على بصيرة .
  4. قيام الداعية للدعوة من غير منهج هو الجهل الذي يضر الدعوة .
  5. معرفة المستجدات في واقع اليوم ليكون الحكم من الداعية على هدى وبصيرة .
  6. معرفة المدعوين وتوزيع المادة على حسب الفروق الفردية .
  7. اختيار المكان والزمان يحقق نتائج لصالح الدعوة .
  8. الارتباط بمراجع كتب العلم المختلفة واختيار اللغات المختلفة ومعرفتها يكون الداعية والمدعو على بصيرة .
- الهوامش:

- 1- هود/61 .
- 2- يوسف/108 .
- 3- إبراهيم/52 .
- 4- المائدة /15-16..
- 5- المعجم الوسيط، تأليف إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات، مادة دعا، دار الدعوة للطباعة والنشر، الجزء الأول، ص286.
- 6- البقرة /69.
- 7- البخاري، كتاب بدر الوحي، باب(6)
- 8- لسان العرب لابن منظور، مادة دعا، ج2، ص1385، دار المعارف بالقاهرة .

- 9- الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب، الطبعة الأولى مطابع السودان للعملة بالخرطوم 2005م، تأليف بروفيسور محمد زين الهادي العرمابي، ص10.
- 10- الدعوة الإسلامية، الشمول والاستيعاب، مرجع سابق، ص11.
- 11- المدخل إلى علم الدعوة، الطبعة الثالثة 1415هـ-1995م، مؤسسة الرسالة، بيروت، تأليف محمد أبو الفتح البيانوني، ص14-15.
- 12- آل عمران / 104 .
- 13- آل عمران / 110 .
- 14- التوبة/ 122 .
- 15- فصلت/ 33 .
- 16- المدخل إلى علم الدعوة، ص31-32-33-34، مرجع سابق.
- 17- المائدة / 67 .
- 18- المائدة / ٦٧ .
- 19- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب (50) ، ج (6) ، ص496.
- 20- التوبة / 122 .
- 21- الدعوة الإسلامية، الشمول والاستيعاب، ص18-19-20-21-22-23، مرجع سابق.
- 22- آل عمران/ 104 .
- 23- فتح القدير، مؤسسة الريان، الطبعة الثانية، 1420هـ- 2000م، ج (1) ، تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ص479.
- 24- تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، 1412هـ-1992م، تأليف الإمام أبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، ج (1) ، ص478.
- 25- في ظلال القرآن، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، تاريخ الطبع 1406هـ-1986م، تأليف الشهيد سيد قطب، ج (1) ، ص438.
- 26- يوسف / 108 .

- 27- فتح القدير، ج (3)، ص77-78، مصدر سابق.
- 28- في ظلال القرآن، ج (4)، ص2034-2035، مصدر سابق
- 29- تفسير القرآن العظيم، ج (2)، ص603، مصدر سابق.
- 30- الإخلاص / 4-1 .
- 31- يوسف / 38 - 39 .
- 32- الأنبياء / 21- 22 .
- 33- المؤمنون / 91 .
- 34- النحل / 76 .
- 35- تقنين الدعوة، ص156-157-158-159.
- 36- الإخلاص / 4-1 .
- 37- طه / 98 .
- 38- إبراهيم / 18 .
- 39- معالم الدعوة في ضوء المنهج النبوي، تأليف د. محمد زين الهادي العرمابي، ص66-67.
- 40- الغاشية / 17- 26 .
- 41- آل عمران / 110 .
- 42- فتح القدير، ج (1)، ص482-483، مصدر سابق.
- 43- النحل/125- 128 .
- 44- رسائل فتیان الدعوة، تأليف الشيخ جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين، مؤسسة الكلمة للنشر والتوزيع 1414هـ-1994م، ص50.
- 45- البقرة / 251 .
- 46- الدعوة الإسلامية، الشمول والاستيعاب، ص26-27-28، مصدر سابق
- 47- متفق عليه، البخاري، كتاب الرقاق، باب (26) الانتهاء عن المعاصي، الفتح 316/11، ومسلم في كتاب الفضائل، حديث (17) النووي 50/15.
- 48- أصول المنهج الإسلامي، دار الذخائر، الطبعة الثالثة 1414هـ، تأليف عبد الرحمن بن عبد الكريم العبيد، ص131.
- 49- فصلت / 33 .
- 50- الأنعام / 162 .

- 51- فصلت / 33 .
- 52- المائدة / ٤٨ .
- 53- سورة المائدة (48)
- 54- المعجم الوسيط مادة "نهج" ، ج (2) ، ص966 .
- 55- المدخل إلى علم الدعوة ، ص45 ، مصدر سابق .
- 56- الدعوة الإسلامية الشمول والاستيعاب ، ص 206 ، مصدر سابق .
- 57- المدخل إلى علم الدعوة ، ص45 .
- 58- المائدة / 67 .
- 59- المدثر / 1-7 .
- 60- الرحيق المختوم ، دار المؤيد ، تاريخ الطبع 1418هـ - 1998م ، تأليف صفي الرحمن المبارك فوري ، ص71-72-73 .
- 61- منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام ، تاريخ الطبع 1428-2007م ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ، تأليف جمعة أمين عبد العزيز ، ص47-48 .
- 62- الرحيق المختوم ، ص75-76 ، مصدر سابق .
- 63- تقنين الدعوة ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى 1414هـ - 1994م ، تأليف محمد السيد الوكيل ، ص154-155-156
- 64- يوسف / 39 .
- 65- تقنين الدعوة ، ص160-161-162 ، مصدر سابق
- 66- عبس / 34- 42 .
- 67- تقنين الدعوة ، مصدر سابق .
- 68- الرحيق المختوم ، ص78-79 ، مصدر سابق .
- 69- الشعراء / 214 .
- 70- سورة الحجر (1)
- 71- الرحيق المختوم ، ص80 ، مصدر سابق .
- 72- تقنين الدعوة ، ص181-182 ، مصدر سابق
- 73- الدعوة الإسلامية ، الشمول والاستيعاب ، ص46 ، مصدر سابق .
- 74- المائدة / 48 .
- 75- العنكبوت / 45 .
- 76- البقرة / 183 .

- 77- التوبة / 103 .
- 78- الحج/ 28 .
- 79- طه / 14 .
- 80- الأنفال / 8 .
- 81- البقرة/ 257 .
- 82- الأنعام/ 163 .
- 83- المدخل إلى علم الدعوة ، مصدر سابق .
- 84- الأحزاب/ 21 .